

ثورة الطريقة الدرقاوية على السلطة العثمانية بالجزائر وانعكاساتها على المؤسسة العسكرية (1800-1813م)

The revolution of the Darqawi order against the Ottoman authority in Algeria and its repercussions on the military institution (1800-1813 AD)

عبد الرؤوف بن قاصير*

جامعة محمد خيضر - بسكرة - (الجزائر)

abderaouf.benkacir@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2023/06/07 تاريخ القبول: 2024/12/08

الملخص:

سأتناول في هذه الورقة البحثية موضوع يتعلق بثورة الطريقة الدرقاوية على السلطة العثمانية بالجزائر وانعكاساتها على المؤسسة العسكرية (1800-1813م)، وهي عبارة عن دراسة توضح العلاقة التي كانت بين السلطة الحاكمة في إيالة الجزائر وشيوخ الطريقة الدرقاوية أواخر العهد العثماني، حيث شهدت إيالة الجزائر قيام سلسلة من الثورات من طرف شيوخ هذه الطريقة وقد كانت منذ بداية القرن التاسع عشر ميلادي (19م)، وقد انتشرت على نطاق واسع وشملت بابلك الشرق وبابلك الغرب، حيث رفعت فيها شعارات دينية تندد بالإطاحة بالنظام العثماني بالجزائر وهذا تعبيرا عن سخطها على ما ألت إليه الأوضاع في الإيالة نتيجة الضرائب المجحفة التي أرهقت كاهل الأهالي، وعليه فقد اعتبرت هذه الثورات كذلك عاملا سلبيا أثر بشكل كبير في تناقص أعداد المجندين على مستوى الإيالة، وفي المجمل نجدها قد ساهمت في إضعاف السلطة العثمانية داخليا وخارجيا وبالتالي مهدت لسقوط الجزائر في يد الفرنسيين.

الكلمات المفتاحية: التصوف؛ الطريقة الدرقاوية؛ ابن الأحرش؛ ابن الشريف؛ الجيش الإنكشاري، إيالة الجزائر.

Abstract:

In this research paper, I will address a topic related to the revolution of the Darqawi order on the Ottoman authority in Algeria and its repercussions on the military institution (1800-1813 AD), which is a study that illustrates the relationship that was between the ruling authority in the Eyalet of Algeria and the sheikhs of the Darqawi road at the end of the Ottoman era, where the Eyalet of Algeria witnessed a series of revolutions by the sheikhs of this method, and it was since the beginning of the nineteenth century AD (19 AD), and it has spread widely and included the Beylik of the East and the Beylik of the West, where Religious slogans were raised condemning the overthrow of the Ottoman regime in Algeria, and this is an expression of its indignation at the situation in the Eyalet as a result of the unfair taxes that burdened the people, and therefore these revolutions were also considered a negative factor that greatly affected the decrease in the number of recruits at the level of the Eyalet, and in general we find that they contributed to the weakening of the Ottoman authority internally and externally and thus paved the way for the fall of Algeria to the French.

Keywords: Sufism, the Darqawi order, Ibn al-Ahrash, Ibn al-Sharif, Janissary Army, the Eyalet of Algeria.

مقدمة:

لقد أستهل القرن التاسع عشر ميلادي بالنسبة لإيالة الجزائر باندلاع ثورات الطرق الصوفية والتي تزعمتها الطريقة الدرقاوية، وقد تزامنت بدورها مع تراجع الوضع السياسي والاقتصادي والعسكري لإيالة الجزائر، وقد شملت ثورة الدرقاويين الخطيرة منطقة بايلك الشرق والغرب على حد سواء، وعليه فقد اعتبرت الطريقة الدرقاوية أقوى الطرق الصوفية بالجزائر، وكان مركزها الرئيس في جبال الونشريس وجنوب التيطري، كما كان لها أتباع في الغرب الجزائري، وقد كانت تربطها بسلاطين المغرب علاقات وطيدة، في حين أقام شيخ الطريقة بمدينة فاس، وعليه فقد أظهر الدرقاويون مقاومة عنيفة للسلطة العثمانية بالجزائر حتى صار مصطلح عاصي يوازي تعبير درقاوي، وبالتالي فقد ظهر مجموعة من القادة الذين تزعموا ثورات هذه الطريقة، لكن في هذه الدراسة سوف نقتصر على ذكر أهم ثورتين وهما: ثورة ابن الأحرش في بايلك الشرق وابن الشريف في بايلك الغرب، وبالتالي فقد أثرت هذه الثورات على المؤسسة العسكرية للإيالة الجزائر بالسلب وهذا من ناحية الخسائر البشرية (الجيش) الذي راح ضحية هذه الثورات وهذا ما أدى بنا إلى طرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى أثرت ثورات الطريقة الدرقاوية على السلطة العثمانية بالجزائر؟، ويليها عدة تساؤلات فرعية وهي:

- ماهي هذه الثورات وفيما تمثلت أسبابها ومجرياتها؟.

- ما مدى مساهمة هذه الثورات في إضعاف المؤسسة العسكرية بالجزائر؟.

- ماهي النتائج المحققة من هذه الثورات؟.

1-العلاقة بين السلطة العثمانية والطرق الصوفية:

1-1- موقف السلطة العثمانية بالجزائر من الطرق الصوفية:

لقد كان للسلطة العثمانية بالجزائر سياسة خاصة تجاه الطرق الصوفية، وذلك لأهميتها لدى الأهالي، حيث اختلفت مواقفهم تجاه هذه الأخيرة، ففي البداية انتهجت أسلوب التودد والتقرب إلى هذه الفئة لأغراض سامية كان لابد منها، إلا أن في الفترة الأخيرة تغيرت سياستهم تجاهها، ولهذا سوف نتطرق إلى الحديث عن اتجاهين في مسار العلاقات بين الطرق الصوفية والسلطة العثمانية بالجزائر وهي على النحو التالي:

-الاتجاه الأول وهو التقارب: لقد كان الحكام العثمانيون بالجزائر منذ مجيئهم مدفوعين بالرغبة في الجهاد والحماس الديني للدفاع عن الجزائر ضد الحملات الصليبية التي تستهدفها، خاصة من طرف الإسبان، فكان من الضروري أن يبحثوا عن حلفاء و مؤيدين يقفون بجانبهم خصوصا المرابطين¹، فلم يتوان الحكام في التقرب من رجال الطرق الصوفية والعلماء، و كان العامل الذي جعل الطرفان يجتمعان هو الدين و الجهاد ضد العدو الواحد فبدأت العلاقة تنمو وتتطور في الارياف والمدن².

¹ - محمد شاطو، نظرة المصادر الجزائرية الى السلطة العثمانية- أطروحة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث- جامعة الجزائر - 2006 - ص 03.

² - أبو القاسم سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي (1500 - 1830)، ج 1- ط 1- دار الغرب الإسلامي- بيروت- لبنان- 1998- ص 227.

- الاتجاه الثاني وهو التوتر: لقد اتسمت سياسة السلطة العثمانية بالجزائر في الفترة الأخيرة من العهد العثماني بمعاداة شيوخ الطرق الصوفية، ومحاولة اخضاعهم لنفوذهم مما أدى إلى حدوث نوع من القطيعة بين الطرفين كما يرجع ذلك لسياسة الحكام الداخلية، بالإضافة إلى زوال الخطر الخارجي بعد تحرير وهران من الاسبان، وهكذا فقد العثمانيون حلفاء كان لهم وزن كبير، ودو رهام في أوساط السكان، فاصبح السكان يؤمنون بالشيوخ، والمرابطين أكثر ما كانوا يؤمنون بالحكام نظرا لنفوذهم الروحي¹.

1-2- تعريف الطريقة الدرقاوية:

هي عبارة عن طريقة صوفية شاذلية الأصول ومغربية التأسيس، حيث ينسب إسم الدرقاوية إلى قبيلة الدرقاة التي ينحدر منها الجد الأول أبو عبد الله محمد بن يوسف لأبو درقة، وقد أطلق اسم درقاوة على أتباع مولاي العربي الدرقاوي الذين ينتمي إلى أولاد عبد النبي كفرقي السوس الأقصى والسوس الأدنى بساحل دكالة² حيث تنسب إلى الشيخ محمد العربي بن أحمد الدرقاوي الإدريسي المولود حوالي 1151/1737م، وعليه فقد عمل الشيخ مدرسا بمدينة فاس، حيث كان يلزم دروس الصوفي الشيخ علي بن عبد الرحمان الجمالي الفاسي، والذي يعتبر الحلقة الأخيرة من سلسلة الصوفية التي تتصل بالقطب أبي مدين الغوث³، في حين تعتبر الطريقة الدرقاوية من أبرز الفروع الشاذلية التي لقت انتشارا وروجا كبيرين في الجزائر وتبناها عدد كبير من الناس⁴.

وتجدر الإشارة إلى أن الدرقاويين يزعمون أن طريقتهم تأسست لغرض العودة بالناس إلى الدين الإسلامي الصحيح والسليم من العيوب، ولتحقيق ذلك حاولوا أن يكونوا هم القدوة، فقلدوا كبار الصحابة وغيرهم في بعض المظاهر مثل: التقشف ومنعوا اللباس الفاخر والتزين، ولم يخلقوا الشعر وغيرها من الأمور التي تعبر عن البعد عن ملذات الدنيا والتطلع للأخرة⁵، وحسب الطريقة الدرقاوية فإن واجبات المريد تتمثل في:

- المشي حافي القدمين، ولبس الأصواف المرقعة.

- إقامة الشعائر والمدائح الدينية بواسطة الرقص وحمل السبحة الكبيرة.

- العيش في الوحدة ومكابدة الجوع وقيام الليل والابتعاد عن الكذب.

- عدم مخالطة الناس وتحاشي أصحاب النفوذ (الحكام)⁶.

في حين فقد انتشرت الطريقة الدرقاوية بالجزائر وخاصة في الإقليم الغربي منها، وهذا عن طريق بعض المقدمين والأتباع الذين كونوا زوايا تابعة للزاوية الأم، وقد كان مولاي العربي الدرقاوي في حياته حريصا على تزويدهم بقواعد السلوك من خلال رسائله، ولعل من أسباب

¹ - شريط، مبارك محمد الملي - مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1985 - ص 168.

² - علجية مقيدش- " الطريقة الدرقاوية في الجزائر: مفهومها ومواقفها من الإحتلال الأجنبي 1786-1914" - مجلة التراث - العدد 25 - جامعة الجلفة - مارس 2017 - ص 129.

³ - الأمير بوغداد- التيارات الدينية في الجزائر خلال القرن 13هـ / 19م (التصوف أمودجا) - أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ - قسم التاريخ والأثار - جامعة الحاج لخضر - باتنة 01 - السنة الجامعية: 2021/2020 - ص 110.

⁴ - بومدين أولاجي - التصوف والمتصوفة قراءة تحليلية للواقع الاجتماعي بالجزائر عهد الدايات (1671-1830) - أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث - قسم التاريخ - جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس - السنة الجامعية: 2021/2020 - ص 48.

⁵ - الأمير بوغداد- المرجع السابق - ص 110 - 111.

⁶ - عبو ابراهيم- " الثورات المحلية ضد الحكم العثماني بالجزائر ثورة ابن الأحرش -أمودجا- المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية- المجلد 01- العدد 01- 2015- ص 205- 206.

سرعة انتشارها هو الاعتماد على الريف كمجال لنشر تعاليمها وأفكارها مستغلة في ذلك بعدها عن الحكم المركزي من جهة والمستوى الثقافي المحدود للسكان الريف من جهة أخرى¹.

2. أهم ثورات الطريقة الدرقاوية:

2-1- ثورة ابن الأحرش الدرقاوي (1800-1807م):

2-1-1- التعريف بشخصية ابن الأحرش:

هو الشيخ الحاج محمد بن عبد الله بن الأحرش المعروف بتسمية البودالي²، حيث يذكر ابن العطار أن ابن الأحرش هو رجل مغربي كان يزعم أنه من شرفاء ملوك فاس³، وقد عُرف عند البعض بالشريف المغربي، وعليه فقد ذكر عنه بأنه رجل مغربي مالكي المذهب درقاوي الطريقة ودروي النسب⁴، أما من حيث أوصافه فقد جاء كتب التاريخ بأنه رجل في مقتبل العمر، طويل القامة، أشقر اللحية يتمتع بصحة جيدة ويتميز بفصاحة اللسان و بسعة أفقه وبشجاعته، وبالتالي فقد تميز ابن الأحرش على مسرح الأحداث كرجل دين وشريف الأصل⁵. وعن سبب قدومه إلى الجزائر يذكر صاحب تحفة الزاهر فيقول: "... وفي سنة ثمان عشرة ومائتين وألف ثار ابن الأحرش في نواحي قسنطينة وهو من عرب المغرب الأقصى رحل من بلاده للحج ولما اجلب نابليون الأول على مصر جمع ابن الأحرش جيشا من أعراب المغربين وأفريقية وانظم إلى الجنود المصرية لقتال نابليون وأدلى في تلك الحروب بلاءا حسنا... وانقلب نابليون إلى فرنسا... واحتل بتونس ولقيه صاحبها حمودة باي وأكرم نزله وفأوضه في القيام على حكومة الجزائر ووعدته بالمظاهرة بالمال والرجال فاستكان لها ابن الأحرش..."⁶، وتأكيذا على هذا في قول أحمد الشريف الزهار أن حمودة باشا استدعى في أحد الأيام ابن الأحرش ووسوس له قائلا: "أن رجلا مثلك شجاع أو كلام بهذا المعنى يجب أن يذهب إلى ملك الترك بالجزائر وينزعه من أيديهم ونحن نمدك بما يخصك والعرب يتبعوك لكثرة ما ظلمهم الأتراك"⁷.

ومن هذا يتبين لنا جليا أن السبب في قدوم ابن الأحرش إلى إيالة الجزائر وبالتحديد بايلك قسنطينة هو بتحريض من حمودة باشا الحسيني حاكم إيالة تونس، وهذا من أجل خلق نوع من البلبلة في الإيالة الجزائرية وبالتالي صرف نظرها عن إيالة تونس التي كانت في صراع معها في تلك الفترة.

¹ مختار بونقاب- " الطريقة الدرقاوية بالجزائر : الحضور والأثر " - مجلة الحوار المتوسطي - العددان 11، 12 - مارس 2016 - ص 373 - 374.

² زينب جعني- " ثورة ابن الأحرش في بايلك الشرق (1800 - 1807) " - مجلة عصور جديدة - العدد 18 - أوت 2015 - ص 129.

³ ابن العطار - تاريخ بلد قسنطينة - تحقيق وتعليق وتقديم: عبد الله حمادي - ط 1 - دار الفائر للطباعة والنشر والتوزيع - قسنطينة - الجزائر - 2011 - ص 111.

⁴ زينب جعني- المرجع السابق- ص 129.

⁵ عبو ابراهيم- المرجع السابق- ص 301.

⁶ محمد بن الامير عبد القادر - تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر - ج 1 - المطبعة التجارية - عزروزي وجاويش - الإسكندرية - مصر - 1903 - ص 77.

⁷ أحمد الشريف الزهار- مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار- تحقيق: أحمد توفيق المدني- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1974 - ص 85.

2-1-2- ابن الأحرش في بايلك الشرق :

بعد عودة ابن الأحرش من تونس نزل بقسنطينة التي مكث فيها ومنها توجه إلى جيجل، والتي بدأ فيها بتجهيز السفن حيث استطاع الاستلاء على سفينة صيد المرجان التابعة للشركات الفرنسية بالقالة في جوان سنة 1803م، وبهذه الطريقة استطاع التقرب من مريدي ومرابطي الطريقة الدرقاوية وبالتالي عمل على نشر تعاليمها في المنطقة¹، في حين ما ميز ابن الأحرش أنه كان صاحب شعوذة وحيل وهذا ما جعل الناس يتبعونه ويناصرونه وهذا لاعتقادهم أن تلك الأفعال الخارقة من أسرار الإلهية، حيث يقول المزارعي في هذا الشأن: "... فرأت منه الناس العجائب والغرائب، وتدافعوا لمساندته ومبايعته خاصة أنه ادعى أنه المهدي المنتظر"²، ومن جهة أخرى أخبرهم بنسبه الشريف حيث يقول صاحب أخبار بلد قسنطينة: "إلى أن قام رجلا من ناحية القبائل وادعى أنه شريفا وطلب الناس لإتباعه فاتبعوه، واتفقوا على أن يقوموا على قسنطينة ويأخذوها من يد الأتراك وتصير ملك من أملاكهم فكان الأمر كذلك..."³

وبعد أن حصل ابن الأحرش على الدعم والتأييد من طرف أهالي المناطق الجبلية الواقعة بين جيجل والقل وميلة، حيث أعلن عن قيام الجهاد ضد السلطة العثمانية بالجزائر في جويلية 1804م وبالتالي وعدهم بتأسيس حكومة تقوم على المبادئ الإسلامية، وعليه فقد طالب أتباعه بمهاجمة الحاميات العسكرية أولا⁴، وعلى إثر هذا الوضع انسحبت هذه الحاميات من مدن جيجل والقل وعنابة، حيث لم تبد أية مقاومة لضعف إمكانياتها في مواجهة جحافل القبائل الثائرة، وعليه فلم يبق لها مفر إلى اللجوء إلى عاصمة بايلك الشرق قسنطينة، وهذا ما أدى بابن الأحرش إلى تنصيب نفسه حاكما، والشروع في تنظيم أمور المدينة والقيام بحماية الضرائب وحفظ الأمن، وبذلك أصبحت المنطقة الممتدة من ساحل البحر إلى مشارف قسنطينة تحت إمرته، وبالتالي فقد عمل ابن الأحرش على الطواف بمختلف القبائل لضمها إلى صفوفه وتقوية جيشه المكون من القبائل الثائرة على السلطة العثمانية بالجزائر وبالتالي جلب أكبر عدد من الأنصار لحركته يتقدمهم الصوفي المعروف بعبد الله الزبوشي شيخ الطريقة الرحمانية⁵.

ثم بعد تقوية جيشه قام ابن الأحرش بحصار مدينة قسنطينة سنة 1804م، وأثناء حصاره لمدينة قسنطينة خاطب أحد أتباعه سكانها بما يلي: "يا أهل البلد هذا الشريف قدم إليكم ونحن قدمنا معه في جنود كبيرة، وجيوش عريضة لا تقدرنا على مقاتلتنا ولا تنجوا إن فرتم منا. فإن أسلمتم لنا البلاد فلا حرج عليكم وإن امتنعتم نقاتلكم وندخلوا بلادكم بقوتنا. فأجابوهم ناس البلاد قائلين: يا معشر القبائل المعتزين نحن لا نسلموا في بلادنا ونقاتلوكم حتى نهزمكم (كذا) أو نموتوا بأجمعنا فعند ذلك هجموا القبائل هجمة شديدة وانتشروا في كل جانب. وتمادى القتال من الجانبين يوم وليلة، ثم فتح الله بالنصر القوى وانهمزموا ذلك القبائل أصحاب الفتنة والبغي..."⁶.

¹ - زينب جعني - المرجع السابق - ص 129.

² - لأغا بن عودة المزارعي - طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا - إلى أواخر القرن التاسع عشر - تحقيق ودراسة: يحيى بوعزيز - ج 1 - دار الغرب الإسلامي - بيروت - 2000 - ص 299.

³ - مؤلف مجهول - أخبار بلد قسنطينة وحكامها - دراسة وتحقيق: رياض بولجبال - رسالة ماجستير - قسم التاريخ وعلم الآثار - جامعة منتوري - قسنطينة - السنة الجامعية: 2010/2009 - ص 64.

⁴ - زينب جعني - المرجع السابق - ص 132.

⁵ - عبو إبراهيم - المرجع السابق - ص 305 - 306.

⁶ - محمد الصالح بن العنزي - فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة - مراجعة وتحقيق: يحيى بوعزيز - طبعة خاصة - عالم المعرفة للنشر والتوزيع - الجزائر - 2009 - ص 70.

وعلى إثر هذا الوضع اضطر ابن الأحرش على الإنسحاب أمام تحالف أهالي مدينة قسنطينة وأعيانها الذين تصدوا له بقيادة كل من الحاج أحمد الأبيض وقائد الدار سيدي أحمد الفكون الذين حالوا دون سقوط المدينة، ولما رجع الباي عثمان إلى قسنطينة¹، وحسب ابن العتري فإن الباي عثمان كان في ذلك الوقت الذي هجم ابن الأحرش في المحلة بناحية سطيف يستخلص مطالب الصيف فلما وصلت إليه الأخبار جاء مسرعا لكنه وجد الأمر قد وقع وفات²، وعلى إثرها أرسل له داي الجزائر في تلك الفترة مصطفى باشا (1798-1805) تهديدا صريحا وهذا بقوله: "لقد عينتك بايا على المقاطعة التي ظهر فيها الشريف فمن الواجب عليك أن تلاحقه وتقضي عليه، وإني أضعك بين أمرين لا ثالث لهما: رأسك أو رأس ابن الأحرش" لهذا كان لزاما على الباي عثمان تجهيز قوة عسكرية تتكون من أربعة آلاف مقاتل من الإنكشارية ومن جنود الزواوة المشاة وغيرها من القبائل المخزن التابعة للبايلك وتوجه الباي على إثرها من قسنطينة إلى وادي الزهور موقع المعركة التي دارت بين قوات عثمان باي وقوات ابن الأحرش في أوت 1804م³.

2-1-3- معارك ابن الأحرش مع الجيش الجزائري ونتائجها:

لقد خرج الباي عثمان متوجها إلى ناحية وادي الزهور سنة 1218هـ / 1804م وهي عبارة عن منطقة جبلية كثيرة الأشجار وعرة المسالك، وعندما وصل إليها الباي عثمان خيم بالمحلة هناك⁴، وقد ابتدأ القتال مع ابن الأحرش ومن معه من القبائل، فأستقر الباي في أرض منخفضة ومضيق وعرة امتلأ بالماء بعد سقوط الأمطار وهذا ما جعل الباي عثمان في حالة من الغرق والتشتت الذي أصاب الجيش الجزائري، وهذا ما أدى بالقبائل بالمبادرة إلى الهجوم على الباي وتم قتله في الحال وما نجى من الجيش الجزائري إلا القليل، وفور سماع السلطة العثمانية بالخبر سارعت في إرسال باي جديد يدعى عبد الله بن إسماعيل (1804-1806م) وتم تكليفه من الداي مصطفى باشا بملاحقة ابن الأحرش خصيصا قبل أن يفكر في إعادة الهجوم على بايلك قسنطينة من جديد⁵.

لقد بدأ الباي الجديد عبد الله بن إسماعيل في إعادة تجهيز الجيش وقام بمجموعة من الاتصالات التي شملت قادة القبائل العرب حيث يقول في هذا الصدد صاحب تحفة الزائر: "... وكان هذا القائد له مصاهرة مع العرب فاستجاش بأصهاره وعبي كتائبه وبرز في قسنطينة مدافعة ابن الأحرش..."⁶ وكذا اجتمع لديه قبائل المخزن وبالتالي جهز محلة عسكرية كبيرة وخرج في طلب ابن الأحرش وضيق عليه البلاد إلى أن هرب إلى الناحية الغربية، ثم التقى الجيشان في نواحي ميله وانتصر عليه في معركة دامية حيث هرب ابن الأحرش على إثرها إلى مكان مجهول وقد شاع بين الناس مقتله⁷، ومنهم من يقول أنه هرب إلى بايلك الغرب وشارك معه ابن الشريف الدرقاوي في ثورته على السلطة التركية في بايلك الغرب حيث يقول في هذا الصدد مسلم بن عبد القادر الجزائري: "كان قدوم ابن الأحرش على درقاوة من المشرق فأزادادوا بقدومه فرجا وسرورا..."⁸.

¹ - زينب جعني-المرجع السابق- ص 133.

² - محمد الصالح بن العتري- المصدر السابق- ص 70.

³ - زينب جعني-المرجع السابق- ص 133.

⁴ - عبو ابراهيم-المرجع السابق- ص 302.

⁵ - زينب جعني-المرجع السابق- ص 134.

⁶ - محمد بن الأمير عبد القادر- المصدر السابق- ص 77.

⁷ - المصدر نفسه- ص 134.

⁸ - مسلم بن عبد القادر الجزائري-أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتقديم: رابح بونار- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1974- ص 103.

2-2- ثورة ابن الشريف الدرقاوي (1800-1813م):

2-2-1- التعريف بشخصية ابن الشريف الدرقاوي:

هو عبد القادر بن الشريف، ويُعرف لدى العامة بابن الشريف الدرقاوي¹، وهذا نسبة إلى الطريقة الدرقاوية التي ينتمي إليها، أما أصله فقد أكدت أغلب المصادر التي تطرقت إلى حياته على أنه من قبيلة وادي العبد بالغرب الجزائري²، ضواحي يهل " غريس " القريب من مدينة معسكر، تعلم مبادئ اللغة العربية في مسقط رأسه في قرية أولاد باليل، ثم التحق بزاوية " القيطنة " التابعة للطريقة القادرية حيث أقام فيها مدة من الزمن، ثم سافر إلى الزاوية " بوبريج " بالمغرب الأقصى وهناك اتصل " بمولاي عبد الله محمد الدرقاوي " الذي لقنه مبادئ الطريقة الدرقاوية وأجازه ومن ثم عاد إلى مسقط رأسه، وفيها أسس لزاوية تلقن الناس أورايد الطريقة الدرقاوية³.

2-2-2- معارك ابن الشريف مع الجيش الجزائري ونتائجها:

لقد انتشرت الطريقة الدرقاوية في إيالة الجزائر وكثر أتباعها خاصة من القبائل الصحراوية وزاد احترامهم وتقديرهم له، وكلما كانوا يلتقون به يشتمون له من ظلم حكام الإيالة وجورهم فكان يعدهم بالفرج القريب ومؤكدا لهم أن هذا الوضع لن يدوم، وقد كان يسأل شيخه مولاي العربي الدرقاوي في هذا الشأن إلى حين أمره بجهاد السلطة الحاكمة⁴ واستباح قتلهم واعتبرهم خارجين عن الدين والملة المحمدية بسبب ظلمهم وجورهم، ومن ثم بدأ ابن الشريف الاستعداد لمقاتلتهم، وهذا من خلال أنه جهز قواته العسكرية⁵.

وعليه فقد استغرقت مدة التحضير للثورة حوالي خمس سنوات من (1800-1805م) ثم أعلن على إثرها ابن الشريف الثورة على السلطة العثمانية الحاكمة بالجزائر مستغلا هزيمة إحدى الحاميات العسكرية أمام قبائل الأنجاد المتمردة ضد السلطة الحاكمة ثم توجه برجاله نحو البطحاء قرب وادي مينا حيث كان معسكره وهناك وقعت اصطدامات بينه وبين رجال الباي مصطفى العجمي (1800-1805) وسميت هذه الواقعة بمعركة فرطاسة⁶، حيث كانت الهزيمة حليفة الانكشاريين، وقد تمكن ابن الشريف على إثرها من دخول مدينة معسكر حيث جعلها قاعدة لجيشه ثم أعلن ابن الشريف الحرب والجهاد ضد السلطة العثمانية بالجزائر وحلفائها من قبائل المخزن، وبعدها انظم إليه العديد من القبائل المخزنية مثل: الحشم والغرابة والدوائر، وعليه تجمع لابن الشريف قوة عسكرية كبيرة قام على إثرها بحصار مدينة وهران سنة 1805م⁷، وهذا لمدة ثمانية أشهر مع أن الظروف كانت مواتية للنصر واقتحام المدينة لكنه لم يستطع وهذا لعدة عوامل نذكر منها:

- قوة أسوار المدينة وعدم قدرة محاصريها على إيجاد منفذ للتسلل إلى داخلها.

- قلة الوسائل الحربية وضعف عتاد الحصار.

¹ - حنفي هلايلي - " الثورات الشعبية في الجزائر أواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش " - مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - المجلد 21 - العدد 01 - 2006 - ص 201.

² - عبو إبراهيم - المرجع السابق - ص 205.

³ - غالي الغربي - " ثورة ابن الشريف الدرقاوي في الغرب الجزائري إبان القرن التاسع عشر " - مجلة الدراسات التاريخية - المجلد 07 - العدد 01 - 1997، ص 59 - 60.

⁴ - قدور بوجلال - " ثورة ابن الشريف في بابل المغرب 1805 - 1813م " - مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا - المجلد 04 - العدد 02 - سبتمبر 2021 - ص 601.

⁵ - حنفي هلايلي - المرجع السابق - ص 201.

⁶ - قدور بوجلال - المرجع السابق - ص 603.

⁷ - عبد القادر صحراوي - " ثورة الطريقة الدرقاوية في الجزائر أواخر العهد العثماني "، مجلة الحوار المتوسطي - العددان 15 - 16 - مارس 2017 - ص 465.

-عدم تجاوب سكان مدينة وهران مع دعوة ابن الشريف للقيام ضد السلطة الحاكمة بالجزائر رغم أن القوات العسكرية المدافعة عن المدينة كانت قليلة العدد.

لكن بعد تعيين باي جديد " محمد المقلش " سنة 1805م، قام بترجيح كفة الميزان لصالح السلطة العثمانية بالجزائر الذي جاء إلى مدينة وهران عن طريق البحر، والذي عين مكان الباي المعزول مصطفى العجمي، كما انتصر الباي المقلش على الدرقاويين في معارك أخرى حدثت عام 1222هـ / 1807م منها "معركة التوتة" بوادي العبد، "وجديوية" التي انهزم فيها الدرقاوي مع جيشه حيث بلغ عدد القتلى منهم حوالي ألف درقاوي، ضف إلى ذلك معركة "تافنا" التي تكبد فيها الدرقاوي خسائر كبيرة، هذا وقد كان الدرقاوي كلما انهزم في معركة إلا وظهر في منطقة أخرى بجيوشه مهددا السلطة العثمانية بالجزائر، لكن الباي المقلش كلما سمع بالدرقاوي في منطقة إلا واتجه إليه وهزمه وفرق جيشه، لكن بالرغم من هذه الانتصارات التي حققها الباي المقلش لم تشفع له إذ قتل بأمر من داي الجزائر وتم تعيين مكانه الباي مصطفى العجمي للمرة الثانية سنة 1807م¹.

وبعد اختفاء ابن الشريف عن الأنظار قام صهره الشيخ بوترفاس سنة 1813م بجمع قبائل الجهة الغربية في جبل ترارة بغية التمرد ضد السلطة الحاكمة، الباي بوكابوس لم يعطي فرصة تنظيم قواته حيث سار إليه وخرب قريته بالكامل، ثم بعدها جاي الباي علي قارة باغلي وهو كذلك انتصر على الدرقاويين وهزمهم شر هزيمة، وبذلك تم القضاء على ثورة الدرقاوي في الناحية الغربية سنة 1813م، أما نهاية ابن الشريف فما زال يكتنفها الغموض، وهذا بسبب الاختلاف الكبير في الروايات وهناك من قال أنه قتل في المعارك وهناك من يقول أنه بقي على قيد الحياة².

وعليه يمكن أن نخرج بالعديد من النتائج حول ثورة درقاوة في الغرب الجزائري ومنها:

- إنتشار الفوضى والاضطرابات في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وانعدام الأمن والاستقرار.
- ضعف نفوذ البايك على مستوى الأرياف وازدياد عزلة المدن.
- لقد شجعت قيام هذه الثورة القبائل على عدم دفع الضرائب.
- ازدياد الخلاف بين السلطة الحاكمة بالجزائر وبين الرعية المحكومين نتيجة لسياسة القمع التي اتبعها الحكام إتجاه القبائل المساندة والمتعاطفة مع الثوار.

3- الإحصائيات الخاصة بأعداد المجندين في إيالة الجزائر:

نجد أن عدد المجندين يختلف من سنة إلى أخرى سواء بالإيجاب أو السلب، وكلما انخفض عدد المتطوعين عجزت السلطة العثمانية بالجزائر عن السيطرة على تمردات القبائل الراضية للسلطة العثمانية بالجزائر، والتي تحدث في الداخل بسبب نقص العنصر العسكري، وإذا لاحظنا على الفترة الأخيرة من العهد العثماني بالجزائر نجد مجموعة من الثورات الصوفية والتي تطرقنا إليها أنفا على الإيالة بشكل واسع،

¹ - قدور بوجلال - المرجع السابق - ص 610 - 611.

² - المرجع نفسه - ص 613.

لهذا فقد عملت الإيالة على تجنيد المتطوعين بشكل سنوي من أجل التصدي لهذه الثورات الداخلية، وعليه فقد كان المجموع الكلي لعدد المجندين خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر (1215هـ / 1800 - 1245هـ / 1830م) يتمثل في حوالي ثمانية آلاف وخمس مائة وثلاثة وثلاثون (8533) جنديا جديدا¹.

في حين أن هذا المجموع الكلي للمجندين كان قد قسمه مارسيل كولومب على ثلاث فترات من العقود الأولى من القرن التاسع عشر ميلادي وهي على الجدول الموالي²:

جدول 01: يمثل عدد المجندين الجدد بإيالة الجزائر طيلة العقود الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر ميلادي:

المصدر: (جخدان بو عبد الله، 2018، ص 73)

من خلال الملاحظة السطحية للإحصائيات المبينة في الجدول أعلاه نجد أنه خلال العقد الأول من القرن التاسع عشر ميلادي كان

السنوات	1801 - 1810م	1810 - 1820م	1820 - 1830م
عدد الجنود المتطوعين بالجزائر	2264 مجندا	4115 مجندا	2154 مجندا

عدد المجندين مرتفع نسبيا، ويمكن تفسير هذا الارتفاع نظرا لحالة الإيالة المستقرة نوعا ما، أما فيما يخص العقد الثاني فنجد أن عمليات تجنيد المتطوعين لصالح الإيالة قد تضاغت لما كانت عليه في العقد الأول، وهذا راجع على حسب اطلاعنا إلى حالة الطوارئ التي شهدتها الإيالة خلال هذه الفترة خاصة الثورات الطرق الصوفية وعلى رأسها الطريقة الدرقاوية من جهة والطريقة التيجانية من جهة أخرى، أما في العقد الثالث من القرن التاسع عشر ميلادي فنجد أن طلب التجنيد قد تراجع بشكل كبير نظرا لتوقف الثورات الداخلية في إيالة الجزائر وإخمادها من طرق السلطة العثمانية بالجزائر.

¹ - الأمير بوغدادة- "دور الأتراك العثمانيين في إنشاء مؤسسات الدولة الجزائرية الحديثة- الجيش أغودجا- (1520- 1830)"- السجل العلمي لأعمال الملتقى الدولي - العلاقات الجزائرية التركية- قسم التاريخ- جامعة محمد خيضر- بسكرة، 18- 19 فبراير 2014- ص 111.

² - مصطفى بن عمار- التحول السياسي في الجزائر العثمانية (1710- 1830)- أطروحة دكتوراه- قسم التاريخ- جامعة الجزائر 02- السنة الجامعية: 2015- 2016- ص 104.

خاتمة:

- من خلال ما تم ذكره يمكننا أن نخرج بمجموعة من النتائج حول هذه الدراسة وهي على النحو التالي:
- الثورة الدرقاوية بقدر ما كانت في ظاهرها عبارة عن ثورة شعبية إلا أن باطنها هو عبارة عن مشروع سياسي لحكام إيالة تونس وسلاطين المغرب الأقصى بقصد التوغل إلى الجزائر، وهذا من خلال الدور الذي لعبه الباي حمودة باشا الحسيني في شحن ابن الأحرش ضد السلطة التركية بالجزائر وفي الناحية الغربية نجد أن السلاطين العلويين ساهموا بشكل كبير في استمالة شيوخ الطريقة الدرقاوية ضد السلطة التركية كذلك.
 - الثورة الدرقاوية فشلت في تحقيق أهدافها الرامية إلى الحد من تعسف الأتراك وظلمهم، وهذا برغم من الأساليب التي اعتمدها قادتها مثل ابن الأحرش في بايلك الشرق وابن الشريف في بايلك الغرب، وعليه فإن هذه الثورة لم تنجح في القضاء على الحكم العثماني بالجزائر، لكن ما يحسب لها هو أنها ساهمت كثيرا في إضعافه، فقد فقدت السلطة الحاكمة بالإيالة ثقة القبائل الموالية لها.
 - ساهمت هذه الثورات في إضعاف المؤسسة العسكرية وهذا بالنظر إلى حجم الخسائر الكبيرة في عدد الجنود الذين راحوا ضحايا هذه المعارك الطاحنة التي امتدت ما يقارب خمسة عشر (15) سنة من القتال، وهذا ما يفسر طلب حكام الإيالة المتكرر للباب العالي بشأن تجنيد أعداد أخرى من المتطوعين لسد النقص الحاصل في أعداد المجندين على مستوى المؤسسة العسكرية.
 - كما اعتبرت ثورة درقاوة ببائلك الغرب من أهم وأخطر الثورات على العثمانيين وهذا بحسب شهادات المصادر المحلية مثل: مسلم بن عبد القادر الجزائري وغيره الكثير.
 - يتضح لنا جليا من خلال ما سبق ذكره أنه بالرغم من الشعارات الدينية والمطالب القبلية التي تسترت بها هذه الثورات، إلا أنها في حقيقة أمرها كانت تعبيرا صادقا عن سخط الرعية وعدم رضاها عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت تسود الإيالة في أواخر العهد العثماني.